

**تعددية الاحتمال وتضافر القرآئن الصوتية والصرفية
والنحوية والمعجمية وأثرها في الدلالة (سورة طه أنموذجاً)**

م. د. نؤي محسن إبراهيم

ملخص

يحاول البحث الوقوف على كشف خبايا لغوية، وزمردات قرآنية فريدة في ظاهرة الاحتمال اللغوي، وكيفية تضافر القرآن اللغوية في سبر أغوار اللغة، فظاهرة الاحتمال وتعدديته تكشف لنا أنَّ اللغات – لا اللغة العربية وحدها- إعجازٌ إلهي فريد، لا يستطيع البشر مجاراتها، فإنَّ فكرة الاحتمال باتت منهجاً معرفياً في جِلِّ العلوم دون أن يختص بواحد منها؛ وذلك بعد التطور الذي أصابها، وتحررها من سطوة التعميم، وعلوم اللغة من هذه العلوم، فقد حَطَّتْ ومازالت تخطو خطوات واثقة اتجاه التطور والتجديد في تفسير الظواهر التركيبية.

وقد قام هذا البحث على أربعة مطالب، المطلب الأول: القرينة الصوتية وأثر تعددية احتمالها في الدلالة، أما المطلب الثاني: فقد جاء معنوناً بالقرينة الصرفية وأثر تعددية احتمالها في الدلالة، والمطلب الثالث: فقد جاء تحت عنوان القرينة النحوية وأثر تعددية احتمالها في الدلالة، وأخيراً المطلب الرابع: الذي جاء معنوناً بالقرينة المعجمية وأثر تعددية احتمالها في الدلالة، ثم الخاتمة وأهم النتائج.

summary

The research attempts to uncover linguistic secrets and unique Qur'anic emeralds in the phenomenon of linguistic possibility, and how linguistic clues come together to explore the depths of language. The phenomenon of possibility and its pluralism reveals to us that languages – not the Arabic language alone – are a unique divine miracle that humans cannot keep up with. The idea of possibility It has become a cognitive approach in most sciences without being specific to any one of them. This is after the development that befell it, and its liberation from the influence of generalization, and the linguistic sciences are among these sciences. It has taken and is still taking confident steps towards development and innovation in the interpretation of synthetic phenomena.

This research was based on four requirements. The first requirement: The phonetic context and the effect of its multiple possibilities on the meaning. The second requirement: It came under the title of the morphological context and the effect of its multiple possibilities on the meaning. The third requirement: It came under the title of the grammatical context and the effect of its multiple possibilities on the meaning. And finally, The fourth

topic: which was entitled the lexical context and the effect of its multiple possibilities on the meaning, then the conclusion and the most important results.

تقدمة: □

أحمد الله حمدًا يليق بذاته العلية، وحضرته السرمدية، وجلاله السني الذي لا تدرکه الأبصار، الذي من علينا بأن ننتظم في نظام اللغة العربية الشريفة، وأن نبحت في خباياها التي لا نهاية لسبر أغوارها، ثم الصلاة والسلام على خير من نطق بها، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا. يبدو أنّ اللغة العربية لا تبخس علينا شيئًا من محاسنها، فهي المعطاة التي لا تشيخ، فأنا اليوم هنا في هذا البحث أكشف عن محسن لغوي، طالما دقت النظر فيه، ألا وهو تعددية الاحتمال وتضافر القرائن اللغوية في سورة طه.

مصطلحا الاحتمال والقرينة في اللغة والاصطلاح:

لقد جاء في المعاجم اللغوية: " الفعل حَمَلَ يَحْمِلُ حَمْلًا وَحُمْلَانًا، ويكون الحُمْلَانُ أَجْرًا لما يُحْمَلُ، والحُمْلَانُ: ما يُحْمَلُ عليه من الدَّوَابِّ في الهبة خاصة، وتقول: إِنِّي لأَحْمِلُهُ على أمرٍ فما يَتَحَمَّلُ، وأَحْمَلَهُ أمرًا فما يتحمل، وإنه ليتحمل الصنّيعَة والإحسان، وَحَمَلْتُ فُلَانًا فُلَانًا، وَتَحَمَّلْتُ بِهِ عليه في الشفاعة والحاجة، وَتَحَامَلْتُ فِي الشَّيْءِ إِذَا تَكَلَّفْتَهُ عَلَى مَشَقَّةٍ، وَاسْتَحَمَلْتُ فُلَانًا نَفْسِي أَي حَمَلْتُهُ أُمُورِي وَخُورَاجِي"^(١)، فالحمل " أصلٌ واحدٌ يَدُلُّ عَلَى إِقْلَالِ الشَّيْءِ"^(٢)، فالاحتمال يظهر معناه اللغوي من المذكور آنفًا بأنه: قبول الأمر الصعب، والاصطبار على مشقته، ولهذا قالوا: "وَالْحَمُولَةُ: الْإِبِلُ بِأَنْقَالِهَا، وَالْأَنْقَالُ أَنْفُسُهَا حَمُولَةٌ"^(٣)، وقد جاء التنزيل بمعنى الاحتمال موافقًا لما ذُكِرَ، فقال عزّ من قائل: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب/٥٨).

أما معنى الاحتمال في الاصطلاح اللغوي فهو: " ما لا يكون تصور طرفيه كافيًا، بل يتردد الذهن في النسبة بينهما، ويراد به الإمكان الذهني"^(٤)، فمعنى الاحتمال في الاصطلاح توسع عن الذي جاء في المعنى اللغوي، فقد دخل في دائرة عدم القطع، والتشكيك في المأل اللغوي، فأصبح لدى المعنى وجهان، وهذان الوجهان لا يمكن القطع بهما، فيتعدد الذهن في النسبة بينهما.

أما مصطلح القرينة، فهو من قَرَنَ، و" قَرَنْتُ الشَّيْءَ أَقْرَنُهُ قَرْنًا أَي شَدَدْتُهُ إِلَى شَيْءٍ"^(٥)، ف" الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالنُّونُ أَضْلَانُ صَاحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَالْآخَرُ شَيْءٌ يَنْتَأَى بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ، فَالْأَوَّلُ: قَارَنْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَالْقَرَانُ: الْحَبْلُ يُقَرَّنُ بِهِ شَيْئَانِ، وَالْقَرْنُ: الْحَبْلُ أَيْضًا"^(٦)، فالقرينة " فعيلة بمعنى المفاعلة، مأخوذ من المقارنة"^(٧).

أما ما جاء في الاصطلاح من معنى القرينة، فهو: " أمر يشير إلى المطلوب، والقرينة: إما حالية، أو معنوية، أو لفظية، نحو: ضرب موسى عيسى، وضرب من في الغار من على السطح،

تعددية الاحتمال وتضافر القرآئن الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وأثرها في الدلالة (سورة طه نموذجًا)

فإنَّ الإعراب منتفٍ فيه، بخلاف: ضربت موسى حبلً، وأكل موسى الكمثرى، فإن في الأول قرينة لفظية، وفي الثانية قرينة حالية^(٨)، فنرى أنَّ المعنيين اللغوي والاصطلاحي متوافقان، ولا يختلفان، فكلاهما يشدان المعنى صوب ما ارتبط به؛ ولهذا فقد تعددت أنواع القرآئن؛ لأنَّها غير محددة، وهي لفظ عامٌّ، يُخصص بما ارتبط به، كما في الأمثلة المذكورة آنفًا.

فلم يبتعد مصطلح القرآئن عن معناه اللغوي، فقد رأينا أنَّ المعنى اللغوي قد أخذ من (قرن)، والتي وردت بمعان عدة، منها: الوصل، والجمع، والشدُّ، والربط، والمصاحبة، والتلازم، والالتقاء، وغيرها من المعاني التي تدل على معنى التلازمية، وعدم الافتراق؛ ولهذا سمي كل ما يلزم الشيء ولا يفارقه قرينًا^(٩).

النمط التركيبي القرآني والسياق اللغوي وقرآئنه اللغوية والحالية:

من الأشياء التي لا يقع الشكُّ فيها أنَّ النمط التركيبي القرآني مشحون بالمعاني والدلالات، وعلى هذا الأساس ترى أنَّ السياق التركيبي القرآني ثابت، وبعضه متعدد الاحتمال في المعنى بما يناسبه، فضلًا عن انصراف الذهن إلى معنى آخر قد لا يتناسب مع المراد القرآني، وهذا التعدد الذي يصيب النمط القرآني وعناصره في التركيب له أثرٌ في الدلالة والمعنى؛ ولهذا قد نرى تعدد الوجوه التفسيرية في آية ما، بحسب ما يحيطها ويصاحبها من غموض الدلالة، أو وضوحها.

فالمحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية محيط عامٌّ يتخصص بتخصص قرآئنه، سواء أكانت كلمة أم جملة في إطار من العناصر اللغوية، أو غير اللغوية، وهي التي أُطلق عليها لفظ السياق^(١٠)، وهو ما يصاحب اللفظ الذي يساعد على توضيح المعنى^(١١)، فنرى أنَّ السياق بوحدياته المتتابعة والنسقية والاسترسال، وهي التي تعين على كشف الغموض الذي يصاحب التركيب، أو النص، لكنَّها ليست الوحيدة بل أنَّ هناك ما يصاحب اللفظ في كشف معناه والتوصل إليه^(١٢)، يقول أولمان: "وكلمة السياق قد استعملت حديثاً في معانٍ مختلفة، والمعنى المهم الذي يهمُّ مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي: النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معاني هذه العبارة، أنَّ السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، والقطعة كلّها، والكتاب كلّهُ، بل ينبغي أن يشمل كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة، لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن"^(١٣)، فهذا التصور الذي حمله أولمان نراه في تراثنا العربي، فهذا عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) قد أحسَّ بهذه العلاقات اللغوية وجعلها في نظريته النظامية التي قصد بها: تأخي معاني النحو بين الكلم، على حسب الأغراض التي يصاغ بها الكلام^(١٤)، أما ابن دقيق العيد (٦٢٥هـ) فقد قال: "أما السياق والقرآئن، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه"^(١٥)، وبهذا التصور الدقيق لجملة ما تقدم فإننا نرى أنَّ النصَّ يحيطه نوعٌ من الغموض، ويكتنفه الاحتمال إذا لم تخصصه القرآئن، فتحيل بينه وبين المعنى عدّة من التساؤلات التي تثير هاجسًا من الغموض،

م. د. لؤي محسن إبراهيم

ومن الصور في تعددية احتمال المعنى التي تدعو إلى الوقوف عليها ما مثل له الدكتور تمام حسان في كتابه البيان في روائع القرآن^(١٦)، وهي:

١- تعدد معنى الأداة ذات الصدارة في الجملة، ومثل لها في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ (القارعة: ١٠)، فالأداة (ما) قد تصلح للاستفهام والتعجب.

٢- تعدد معنى الصيغة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ عَفِرتُ مِنَ الحَيِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ (النمل: ٣٩)، فلفظ (آتِيكَ) يصلح أن يكون مضارعاً ناصباً لمحل الكاف، وأن يكون اسم فاعل مضافاً إلى الكاف.

٣- تعدد احتمالات العلاقة النحوية، والذي يقصد بها بأن يصلح المعطوف أن يعطف على هذا اللفظ، أو ذلك، وكاحتمال تعلق الظرف، أو الجار والمجرور، من نحو قوله تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الرعد: ١١)، إذ يصلح الجار والمجرور (من أمر الله) أن يكون صفة للمعقبات، أو أن يتعلق بالفعل (يحفظونه).

٤- تعدد احتمالات المعنى الوظيفي للكلمة المقررة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الكِتَابَ بِمَاءٍ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ حَيْرًا ﴾ (النور: ٣٣)، إذ يصلح لفظ (الكتاب) أن يكون بمعنى الصحيفة، وأن يكون بمعنى المكاتبة.

٥- تعدد احتمالات الذكر والحذف، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٨)، إذ يحتمل التركيب أن يكون فيه حذف، أو لا يكون فيه، فيكون المراد هو: أن المنهي عن سبهم هل هم (الذين يدعون)، أو (الذين يدعونهم)، أي: هل هم المشركون، أو الشركاء؟.

٦- تعدد احتمالات تمام الجملة أو افتقارها إلى ما بعدها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ (يونس: ٦٥)، فهل تم معنى الجملة عند لفظ (قولهم)، أو يكون ما بعد ذلك مقولاً للقول.

٧- تعدد احتمالات المعنى المعجمي للكلمة المفردة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَفَبَضَّتْ فَبَضَّةً مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ ﴾ (طه: ٩٦)، فلفظ (الرسول) قد ينصرف به الذهن إلى أنه (موسى) (عليه الصلاة والسلام)، أو غيره.

فيوضح الدكتور تمام حسان أن القرائن بأنواعها لها أثر في الكشف عن هذه الاحتمالات، فهي تحدد معنى للوحدة الكلامية متى ما أطلقت، فالنص كما أشرنا قد تكتفه الاحتمالات والغموض، فتعين القرائن على الوقوف على المعنى والدلالة وتحديد المراد من النص سواء كان النص مكتوباً، أم مقروءاً.

والسياق بتضافر قرائنه يمكنه أن يحدد المعنى، فيكون وقوفه على الوحدة الكلامية في مستويات تحليلية ثلاث، وهي:

تعددية الاحتمال وتضافر القرائن الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وأثرها في الدلالة (سورة طه نموذجًا)

- ١- يحدد أي جملة تمّ نطقها.
- ٢- يخبر عن أية قضية تمّ التعبير عنها.
- ٣- يساعد على القول أنّ القضية تحت الدرس، وقد تمّ التعبير عنها بموجب نوع من القوة غير الكلامية (القرينة) دون غيره^(١٧).

التعريف بسورة طه، وسبب نزولها:

هي السورة العشرون في ترتيب المصحف الشريف، وآياتها خمس وثلاثون ومئة، نزلت بعد سورة مريم، وهي سورة مكية^(١٨)، وللسور المكية طابعها الخاص، وهي من أوائل السور التي نزلت في مكة، ومن الذي يدلُّ على قدم نزولها قول ابن مسعود (رضي الله عنه) (ت ٣٢ هـ)، الذي نقله ابن حجر العسقلاني عنه، إذ قال ابن حجر: "كان يقول في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، أنّهن من العتاق الأول، وهنّ من تلادي"^(١٩).

أما سياقها العام فقد جاء لملاطفة النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ما لاقاه من الدعوة، يقول ابن عادل الدمشقي (ت ٨٨٠ هـ) في سورة طه: "إنّ هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك الوقت مقهورًا تحت ذلّ الأعداء، فكأنّ الله قال: لا تظن أنّك تبقى أبدًا على هذه الحالة، بل يعلو أمرك، ويظهر قدرك، فإنّ ما أنزلنا عليك القرآن لتبقى شقيًا فيما بينهم، بل لتصير معظمًا مكرمًا"^(٢٠).

القرينة الصوتية وأثر تعددية احتمالها في الدلالة:

إنّ انفراد السياق القرآني بتناسقه الصوتي ومفرداته من الألفاظ من جهة، وتراكيبه والجمال الفنيّ الذي يوحيه التناغم المتحصل من الآيات والسور وقوافيها من جهة أخرى، هي مزية انفرد بها القرآن العظيم، فميزته عن سواه تتحصل في "جمال وقعها في السمع، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى"^(٢١)، فالأذن العربية من خصائصها أنّها تواقة للجمال الصوتي، وإيقاعه الموسيقي، وهو أول شيء أحسته الأذن العربية^(٢٢).

وعلى هذا الأساس كان لسورة طه في نمطها الصوتي أثر في المستويات الأخرى، ولا سيّما السياق النحوي، وأدواته كالحذف والتقديم والتأخير، وغيرها من الأدوات.

ومما نستشهد به في هذا المقام قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْفُفٌ مَّا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه: ٦٩)، يقول الدكتور فخر الدين قباوة: " (إنّما صنعوا كيد ساحر) يكون فيه نبرٌ وظيفي شديد في لفظ (إنّما)؛ لأنّها كافة ومكفوفة، تلفظ دفعة واحدة، بغية إفادة الحصر، أما إذا رفعت (كيد) فلا بدّ من تركيز النبر على (إنّ) وحدها، وفصلها عن (ما) لفظًا ورسومًا، (إنّ) - (ما) مع سكتة داخلية متصلة، ليتحقق كون (ما) اسمًا موصولًا في محلّ نصب اسم (إنّ)، وكون الخبر هو (كيد)"^(٢٣)، ف (ما) على ما تقدم إما أن تكون موصولة، أو موصوفة، أو مصدرية^(٢٤)، فنرى أنّ القرينة الصوتية النبر قد أثرت في تعدد احتمالية معنى (ما).

م. د. لؤي محسن إبراهيم

ومن ذلك أيضًا حذف ما لا يحذف في المستوى الصوتي، قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا هَازُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ (طه: ٩٢-٩٣)، فقوله: (أَلَّا تَتَّبِعَنِ) الواجب فيها إظهار ضمير (ياء) المتكلم، فتكون (تتبعني)^(٢٥)؛ لأنَّ (لا) هنا زائدة للتوكيد، فيصير المعنى: أن تتبعني^(٢٦)، ف " حذف الياء يعني قصر المدِّ قليلاً، والاجتزاء عنه بالكسرة القصيرة، وهي ليست من مسائل رسم المصحف، بل أنَّ هذا الرسم الذي يباح فيه حذف ما لا يحذف الذي يؤدي غرضًا صوتيًا يتصل بحسن الأداء"^(٢٧).

فنرى أنَّ تضافر القرأتين مع السياق أباح لنا تعددية الاحتمال الي يتناسب مع سياق القرآن العظيم، فالسياق بقرآنه " هو الأساس في بيان طبيعة المحذوف - كان - والاستدلال عليه، والكشف عن الأسباب التي دعت إلى حذفه، ولذلك قرر الزركشي إنَّ دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات، وإنَّ من الدليل على بيان المحذوفات العقل وعادة الناس في تعيين المحذوف"^(٢٨).

ومنه أيضًا حذف بعض الكلام في تناسب فواصل الآي في السور القرآنية، قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ نَجَّهْتَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (طه: ٧)، فقوله: (وأخفى)، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): وأخفى من ذلك، أو قد يريد الله تعالى شأنه وعظمت قدرته: وأخفى عنهم ما يعلمه^(٢٩)، وهذا الأسلوب جارٍ في كلام بلغاء العرب^(٣٠).

ومما لا ريب فيه أنَّ القرآن العظيم قد اعتنى بجملة من الأنماط اللغوية من بينها هذا النمط الصوتي، بفواصل الآي، والوقف، والنبر، والتنغيم، وكل هذه القرأتين كاشفة عن المراد القرآني، وله أثر كبير في السمع ووقعه شديد في النفس، يقول الدكتور فاضل السامرائي: " فقد ترى أنَّه يقدم كلمة، ومرة يؤخرها انسجامًا مع فواصل الآيات"^(٣١).

ومن اعتناء القرآن العظيم بالفاصلة القرآنية الصوتية، تأخير مَّا حقه التقديم لعلو رتبته، فنرى ذلك متمثلًا في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَازُونَ وَمُوسَى ﴾ (طه: ٧٠)، فقد قدم (هارون) على (موسى)، وهو أعلى منه رتبة، فقد يكون هذا التقديم لمناسبة فواصل الآي، وقد يكون غير ذلك^(٣٢)، والله أعلم بالمبتغى.

القرينة الصرفية وأثر تعددية احتمالها في الدلالة:

تعنى القرينة الصرفية بدراسة الألفاظ لا بوصفها صيغًا وحسب؛ إنَّما تركز على ما فيها من مهام تفيد في حصر المراد من الجملة أو العبارة^(٣٣)، فالمبنى الصرفي الواحد " متعدد المعنى، ومحتمل كل معنى تُسبب إليه، وهو خارج السياق، أما إذا تحقق المعنى بعلاقة في سياق؛ فإنَّ العلاقة لا تفيد إلا معنى واحدًا تحدده القرأتين اللفظية، والمعنوية، والحالية"^(٣٤)، فالدلالة الصرفية تعنى باللواحق والسوابق، والزوائد، وكثيرًا ما يقترن السياق الصرفي بالسياق النحوي ويتضافر معه؛ وذلك لتفاعل الصرف والنحو في سياق واحد^(٣٥).

تعددية الاحتمال وتضافر القرائن الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وأثرها في الدلالة (سورة طه نموذجًا)

ومما وقفت عليه في سورة طه وقد جاء على هذا النمط، قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقْدِرِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِرِيهِ فِي النَّبِيِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَوْمَ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)، فقوله تعالى: (الساحل)، فهو لفظ جاء على زنة (فاعل)، والمراد منه زنة (مفعول)، قال الكسائي (ت ١٨٩هـ): "الساحل فاعل بمعنى مفعول، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّ الماء يسحله، أي: يقذفه إلى أعلاه" (٣٦)، فاللفظ (ساحل) وإن كان على زنة (فاعل) فهو بمعنى (مفعول)؛ أي: مسحول، فقد وقع عليه الفعل، وليس هو من قام بالفعل، وهو مقلوب اللفظ (٣٧)، فالعرب تستعمل زنة (فاعل) بمعنى (مفعول) كثيرًا، فقد قالوا: "إنَّ فاعلاً قد يجيء بمعنى مفعول، نحو: ماء دافق، أي: ماء مدفوق، وعيشة راضية، أي: مرضية" (٣٨)، ويرى ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في هذه الصيغة معنى آخر، وإن كان قوله: ماء دافق، أي بمعنى مدفوق على حد قولهم، لكنَّه يذهب إلى أنَّه بمعنى: ذو دفق، ويستشهد بقول الأصمعي في قولهم: ناقة ضارب، أي: ذات ضرب (٣٩).

ومن السياق نفسه قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (طه: ٣٦)، فلفظ (سؤلِكَ)، وإن كان على زنة (فعل)، فهو بمعنى (مفعول)، فالسؤل جاء على صيغة (فعل) وهو بمعنى (مفعول)، كقولك: خُبز، بمعنى: مخبوز، وأكل، بمعنى: مأكول (٤٠)، ف (فعل) صيغة يراد بها أحيانًا صيغة (مفعول)، فقد تفيد تحول الصفة إلى الاسم تارة، وقد يراد بها المبالغة مرة أخرى، ويستوي في هذه الصيغة المذكر والمؤنث، فنقول: امرأة نكر، ولا تقل: امرأة منكرا (٤١).

ومن تعددية الاحتمالات في الصيغة الصرفية مما جاء في سورة طه، قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَأْيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (طه: ٤٧)، فقوله جلَّ في علاه: قد جئناك بآية، فالآية هنا جاءت مفردة، وقد أرسل الله مع موسى وهارون (عليهما السلام) آيات بينات، فالإفراد في لفظ (آية) قد يكون المراد منه كما يقول الرازي: إشارة إلى جنس الآيات، فكأنما قال: قد جئناك ببيان من عند الله (٤٢)، وقد يكون كما ذهب الزمخشري إلى أنَّ القرآن العظيم وحد لفظ (الآية) ولم يثن، ومعه أكثر من آية؛ لأنَّ المراد تثبيت الدعوى ببرهانها (٤٣).

القريئة النحوية وأثر تعددية احتمالها في الدلالة:

إنَّ نحو النصِّ مكون وظيفي خاصٌّ بوسائل اللغة، وأنساقها في تركيب العبارات، وقد يطلق عليه أيضًا، المكون النحوي، أو التركيبي (٤٤)، فيعنى السياق النحوي بالبنية النحوية، وعلاقات الكلمات، ووظائفها، ومواقعها من التركيب.

ومما جاء من الأنماط والصور النحوية في سورة طه:

١- تعدد معنى الأداة ذات الصدارة في الجملة:

مما جاء في سورة طه، قوله تعالى: ﴿وَمَلَأْنَاكَ حَدِيثَ مُوسَى﴾ (طه: ٩)، ف (هل) هنا متعددة الاحتمال، فيمكن أن تكون للاستفهام الحقيقي، أو أنَّها خرجت من الاستفهام إلى معنى التقرير،

م. د. لؤي محسن إبراهيم

فتكون بمعنى: قد أتاك حديث موسى^(٤٥)، فالأصل في (هل) أن ترد للاستفهام، وهي حرف استفهام تدخل على الأسماء والأفعال لطلب التصديق الموجب، لا غير كما ذهب المرادي في ذلك^(٤٦)، وقد أثر الطاهر بن عاشور معنى التحقيق في (هل)، وأنها بمعنى (قد)، وأنها للأخبار؛ لأن الاستفهام هنا مستعمل في التشويق إلى الخبر^(٤٧)، ومن الجدير بالذكر أن حرف (هل) قد يخرج لمعان عديدة، يحددها السياق، فقد ذهب غير واحد من النحويين والمفسرين من أن (هل) إذا كانت في سياق خطاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنها تكون بمعنى (قد)^(٤٨).

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾ (طه: ٨٣)، فالأداة (ما) هنا تحتل أن تكون للتعجب، وأن تكون للاستفهام، يقول الدكتور تمام حسان: "من الممكن أن تفهم معنى التعجب بدعوى إن (ما) تعجبية، وأن أفعل للتعجب، ولكن قرينة السياق الاستفهامي هو ما أجاب به موسى عن هذا السؤال: ﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾، فبين سبب الاستعجال الذي سئل عنه، وبهذا ينبغي الاعتماد على قرينة السياق في تحديد معاني الجمل"^(٤٩).

٢- تعدد معنى الأداة التي ليس لها الصدارة في الجملة:

من المقرر في الدراسات اللغوية أن لكل أداة معنى خاصًا بها، وهناك معان أخرى قد تخرج لها الأداة كما تقدم بنا، ومما وقفنا عليه في سورة طه في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى ﴾ (طه: ٢-٣)، فالأداة (إلا) تستعمل في الاستثناء، وهو معناها الوضعي الذي تساق له، وقد تخرج لمعان أخرى^(٥٠)، لكن في الآية المذكورة آنفًا، لا وجه للاستثناء هنا كما ذهب بعضهم، فيتقرر أن (إلا) قد تحتل معنى غير الاستثناء، فتكون بمعنى (بل)، أو (لكن)، فهي عاطفة حينئذ^(٥١)، وذهب الزمخشري إلى أن المعنى هنا، أن تكون (تذكرة) منتصبة على الاستثناء المنقطع^(٥٢).

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الَّتِي فَلْيَلْقِهَ الَّتِي بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِمِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (طه: ٣٩)، فقوله تعالى: (على عيني)، ف (على) هنا تعددت معناها، فهي بين الاستعلاء الحقيقي، والاستعلاء المجازي، الذي يكون بمعنى (باء) المصاحبة^(٥٣)، كما قال تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ التُّرَابَ بِأَعْيُنِنَا) (المؤمنون: ٢٧)، وهناك رأي آخر يفضي إلى أن (على) في الآية المذكورة آنفًا بمعنى (أمام)^(٥٤).

ومثلها أيضًا قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَمْنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْرَكَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَلْصِقَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْتَانَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَنْتَى ﴾ (طه: ٧١)، فقوله تعالى: في جدوع النخل، أي: في داخلها، وهذا المعنى الذي ينصرف إليه الذهن في أول وهلة؛ لأن معنى (في) في الأصل يدل على الظرفية، ولا يثبت البصريون غيره^(٥٥)، وقد ذهب المفسرون إلى أن معنى حرف الجر (في) جاء هنا على معنى: على جدوع النخل، لا في داخلها؛ لأن الصلب يكون على الجدوع^(٥٦)، لكنني أرى أن الاستعمال القرآني للأداة (في) يراد به معناها الحقيقي، فكأنما أجساد

تعددية الاحتمال وتضافر القرائن الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وأثرها في الدلالة (سورة طه نموذجًا)

السحرة والجذوع صارتا قطعة واحدة، فتلبس كل واحد منهما الآخر، فصار الجذع ظرفًا للجسد من شدة التعذيب، والله أعلم بالمراد.

٣- حيلولة قرينة السياق اللغوي دون فهم المعنى في الرتبة:

أيقن القدماء أنَّ الرتبة في السياق اللغوي ليست المقرر الوحيد في فهم التركيب، فيكون الاحتكام إليها في الأسماء المنقوصة، والمقصورة، والمبنيات فيه نوع من الإبهام؛ لذا أنَّ الرتبة تتجاذب مع المبنيات، وهي تعدد احتمالات العلاقة النحوية، والذي يقصد بها بأن يصلح المعطوف أن يعطف على هذا اللفظ، أو ذاك، أو كاحتمال تعلق الظرف، أو الجار والمجرور بهذا اللفظ أو ذاك، أو تعلق وصف بما يسبقه، ثم يفصل فاصل بينهما، يعيق هذا التعلق^(٥٧)، قال تعالى في سورة طه: ﴿ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ (طه: ٥٢-٥٣)، فلقد فصل الفعل المنفي (ينسى) بين لفظ (ربي)، ونعته (الذي)، فجعل هذا الموصول (الذي) من حيث التركيب كأنه مفعول للفعل (ينسى)^(٥٨)، وعلى هذا الأساس جوز الزمخشري في المتعلق (الذي) ثلاثة وجوه أعرابية^(٥٩)، وهي:

١- خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو الذي.

٢- صفة للفظ (ربي).

٣- أنه منصوب على المدح.

في حين قال الرازي: "واعلم أنه يجب الجزم بكونه خبرًا لمبتدأ محذوف، إذ لو حملناه على الوجهين الباقيين لزم كونه من كلام موسى (عليه السلام)، ولو كان كذلك لفسد النظم بسبب قوله: (فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى)"^(٦٠)، فنرى أنَّ السياق قد حال بين فهم المعنى أو انصرافه إلى معنى آخر، يقول د. تمام حسان: "ومعنى حيلولة السياق دون فهم المعنى على المفعولية، أنَّ المعنى لا يستقيم معها عند ذلك، وسيؤول إلى: لا يضل ربِّي ولا نسي ذاته"^(٦١).

ومن ذلك أيضًا عودة الضمير، وهو لغائب أم لحاضر، يقول جلَّ شأنه: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ (طه: ١٢٨)، فالضمير في الفعل (يهدي) قد اختلف في عودته، فقد ذكر السمين الحلبي أنَّ الضمير فيه أوجه^(٦٢)، وهي:

١- أنه ضمير الباري جلَّ شأنه، نقله عن أبي البقاء العكبري.

٢- أنه مضمَر يفسره ما دلَّ عليه الكلام بعده.

٣- أنَّ الفاعل في الفعل (يهدي) الجملة التي بعده، قاله الزمخشري.

٤- أنه عائد على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأنه هو المبين لهم من أخبار، وكذلك قاله الزمخشري.

٥- أنه يعود على محذوف يقدره ب: الهدى، أو الأمر، أو الاعتبار، أو النظر، وهذا ما ذهب إليه ابن عطية.

م. د. لؤي محسن إبراهيم

٦- أن فاعل الفعل (يهدي) هي (كم)، وهذا الرأي جاء به الحوفي، ثم أنكره على قائله؛ لأن (كم) استفهام لا يعمل فيها ما قبلها، مع العلم أنها هنا ليست استفهامًا، إنما خبرية.

وقد جرَّ هذا الخلاف في عودة الضمير إلى اختلافهم في عودة الضمير في الفعل (يمشون) الوارد في الآية نفسها، فقالوا^(٦٣):

١- الضمير في (يمشون) عائد على القرون، أي الأجيال السابقة.

٢- الضمير في الفعل (يمشون)، أي هو الواو عائد على الضمير في (لهم).

فنرى تعددية الاحتمال في عودة الضمير أثارت عددًا من التفسيرات، والتأويلات، التي لا يمكن الجزم بأحدها، حتى توافر القرينة، وقد ذهب الطاهر بن عاشور إلى أن جميع الضمائر الغائبة الواردة في النص العزيز عائدة إلى معروف على سبيل التعريض بالإنذار والوعيد، وقرينة ذلك أن قوله تعالى (يمشون في مساكنهم) فهي جملة في موقع نصب حال لقوم أحياء حينئذ^(٦٤)، وقد رأى د. تمام حسان أن القرينة السياقية التاريخية هي من فسرت لنا الآية الكريمة بأن القرآن الكريم لم يذكر لنا أن هناك أقوامًا هلكوا في مشيهم، أو بسببه، فيكون الضمير في (يمشون) عائد على (لهم)، والجملة على هذا فهي حالية كما ذهب بها الطاهر بن عاشور^(٦٥).

٤- تضافر القرائن النحوية التركيبية في كشفها الملايسة من الألفاظ:

وقد تمثل هذا النمط فيما جاء من قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهَا سَوَآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه: ١٢١)، يقول الدكتور هادي نهر: "إذ قد يقال: كيف عصى آدم ربّه، والعصيان من كبائر الأفعال، والغى ضد الرشد، إن ظاهر الدلالة لكلمة (عصى) هو العصيان، غير أن رصد الدلالة من خلال سياقها تشير إلى أن خصوص الدلالة ليس كذلك، فالمعصية وإن كانت مخالفة الأمر من الله قد يكون بالواجب، أو الندب، والدلالة على هذا توحى بالمخالفة فيما لم يكن واجبًا، وقد تكون (غوى) بمعنى الخيبة والجهل؛ لأنّه لو فعل ما أمره الله لم يندب، ولم يفسد عيشه، وقد يكون في غوى معنى الإخبار عن العصيان قبل الاجتناب، إذ قال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه: ١٢٢)، والدليل على ذلك عندهم العطف بـ (ثم)، وما فيها من التراخي الزمني^(٦٦)، فالتقابل بين الأفعال:

عصى _____ هدى

غوى _____ اجتنبى

قد أثار هذا التقابل المفسرين في جملة من التساؤلات، هل يجوز على الأنبياء أن يعصوا الله عز وجل؛ وهو الذي اصطفاهم؟، وأن تسند لهم الغواية؟، أو أن يصفوا بها؟، وفي العصيان والغواية الخروج عن الامتثال في التربية!.

تعددية الاحتمال وتضافر القرائن الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وأثرها في الدلالة (سورة طه نموذجًا)

لكن تضافر القرائن النحوية قد أزلت وكشفت لنا الملابس، وإن احتمل النصُّ الكريم معنى آخر - الله أعلم به-، فكان العطف بـ (ثم)، وما في الحرف من معنى التراخي الزمني، يجيب على أن آدم لم يكن نبيًا آنذاك، والاعتراض في جملة (ثم اجتباها فتاب عليه وهدى)، بين جمليتي (عصى آدم)، و(قال اهبطا)؛ لأنَّ الاجتباء والتوبة كانا بعد أن عُوقِبَ آدمُ وزوجه بالخروج من الجنة، وهو المناسب لترتيب الإخراج من الجنة على المعصية، دون أن يترتب على التوبة.

٥- خروج الغرض النحوي عن وظيفته الكبرى ليؤدي وظيفة أخرى:

من المعلوم أنَّ لكلِّ غرض وظيفة أساسية يقوم بها على أتم وجه في الجملة، أو التركيب، وهذا المتعارف عليه، وكثيرًا ما نرى خروج هذه الأغراض عن وظيفتها الأساسية الكبرى، لتؤدي وظيفة أخرى، وقد أُطلق على هذا العمل، بأنَّها وظيفة مجازية، فهذه هي الطبيعة التي جبلنا عليها الخالق، فلكل واحد منا وظيفة أساسية لكن ليس من المعيب أن يؤدي وظيفة أخرى، وهذا من باب التكامل المعرفي، لكنني اعترض على تسمية هذه الوظيفة بالوظيفة المجازية؛ لأنَّ المجاز ليس بحقيقة، وهو من باب الكذب، وهذه الوظائف تؤدي حقيقة لا مجازًا، ويمكن أن أصطلح عليها بالوظيفة الفرعية، فهو أقرب من مصطلح الوظيفة المجازية.

وبالعودة إلى ما سبق فإنَّ وظيفة الضمائر أن يكنى بها عن الاسم الظاهر، ف (الهاء) ضمير شأن يكنى بها عن الاسم، وقد خرج عن كنيته للاسم إلى كناية الجملة كما في قوله تعالى في سورة طه: ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ﴾ (طه: ٧٤)، فضمير الشأن (الهاء) في (أنه) قد خرج عن كنيته للاسم إلى كناية الجملة التي بعده، كما جاء في قوله تعالى: (فإنَّ له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا)، فيكون المعنى: فجعل إتيانهم موضع الوعد^(٦٧).

وكثيرًا ما نرى خروج أدوات الاستفهام عن وظيفتها الأساسية، إلى وظائف فرعية، ليست غرضها الأساسي، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَسَوْسَ إِلَى الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (طه: ١٢٠)، فقوله: هل أدلك، ليس استفهامًا حقيقيًا، إنَّما هو غرض فرعي خرج إليه الاستفهام بأداته (هل)؛ ليؤدي معنى آخر غير المعنى الأساسي له، فقد خرج هنا إلى معنى العرض والإغواء، وهو معنى فرعي قريب من معنى الاستفهام الحقيقي^(٦٨).

القرينة المعجمية وأثر تعددية احتمالها في الدلالة في الاستعمال القرآني:

يمثل السياق المعجمي مستوى آخر من مستويات البنية اللغوية التي تقوم بين المفردات، بوصف الأخيرة وحدات معجمية دلالية، لا وحدات نحوية، أو صرفية، أو أقسامًا كلامية أخرى^(٦٩). فجاءت كلُّ آية متناسبة مع سياقها اللغوي، يقول د. فاضل السامرائي: "فترد في السياق ألفاظ معينة بحسب تلك السمة"^(٧٠).

ومن تلك الألفاظ الذي أختارها السياق المعجمي في تناسبه مع السياق العام لسورة طه:

١- لفظ (القرآن):

م. د. لؤي محسن إبراهيم

جاء لفظ القرآن مستعملًا في سياق سورة طه دون الألفاظ المرادفة له، فقد ورد استعماله ثلاث مرات، اثنتين منها معرفًا ب (أل)، وواحدًا جاء من غير (أل) موصوفة في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ (طه: ١١٣).

في حين أنّ السياق القرآني قد أثر استعمال لفظ (القرآن) دون غيره من الألفاظ التي ترادفه، من نحو (الكتاب)، و(الذكر)، لكنّه استعمل لفظ (الذكر) مرة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ (طه: ٩٩).

فبالعودة إلى المعاجم اللغوية نرى أنّ لفظ (القرآن) من الفعل (قرى)، جاء في المقاييس: " القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح، يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون: قريت الماء في المقرة: جمعته،، وقالوا: ومنه القرآن، كأنّه سمّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصاص، وغير ذلك" (٧١)، وقال الراغب الاصفهاني: " والقراءة ضمُّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، ولا يقال لكلّ جمع قرآن أو لا، لكلّ جمع قرآن" (٧٢).

أما الذكر فقد جاء معناه في المعاجم بأنّ: " الذال والكاف والراء أصلان: الأول منها: ذكرت الشيء خلاف نسيته، ثم حُمل الذكر عليه باللسان، ويقال: رجلٌ ذكّر، أي: جيد الذكر شهيم، والآخر: من التذكير والتأنيث" (٧٣).

أما الكتاب فهو من: ضمّ أديم إلى أديم بالخياطة، وهو اسم لما كُتِبَ مجموعًا لا متفرقًا (٧٤). فلما كانت سورة طه من أوائل السور التي نزلت على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة، وحين ذلك لم يكن القرآن مكتوبًا، بل كان يحفظ في الصدور، ولم يضم بعضه إلى بعض لفظًا، أو كتابة (٧٥)، فاستعمل السياق القرآني لفظة (قرآن) دون (الكتاب) أو، (الذكر)؛ وذلك لتناسب المعنى في سياق الآيات مع سياقها العام، ودلالة الألفاظ مع سياقاتها اللغوية.

٢- لفظ (أتى):

استعمل السياق القرآني في سورة طه لفظ (أتى) سبعة عشر مرة فعلًا، واسمًا؛ لكنّه في المقابل قد استعمل لفظ (جاء) ثلاث مرات في الآيات: ٤٧-٥٧-٧٢، ولم يكن هذا الاستعمال إلا لمناسبة قصدية، ف (أتى) قد مرادفًا للفعل (جاء)، وكلاهما بمعنى الإتيان، لكن بلحاظ فروق معنوية، وكلّ واحد منها يستعمل في سياق محدد، قال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ): " تأت لهذا الأمر، أي: ترفق" (٧٦)، أما الراغب الأصفهاني فيقول: " الإتيان مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجهه، أتى، وأتاوي، ...، وبه شبه الغريب، فقيل: أتاوي" (٧٧).

فالفعل (أتى) مجيءً بسهولة وتديبير، لذا قالوا للسقاء الذي مخض وتحصل زبده: قد جاء أتوه (٧٨). أما المجيء فيقال فيه: جاءتني إليك الحاجة، وجاءت بيّ الضرورة، وأجاءت ثوبها، ويقال: سألت جانيّة القرحة (٧٩).

تعددية الاحتمال وتضافر القرآن الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وأثرها في الدلالة (سورة طه نموذجاً)

فالمجيء أعم من الإتيان، ويقال للأمر الصعب، وقد جاء (المجيء) باشتقاقه في السياق القرآني دالاً على عسرة وصعوبة^(٨٠)،

ووافق السياق القرآني في استعمال لفظ (أتى) مع دلالتها المعجمية التي دلت على الإتيان بسهولة ويسر، فراعى السياق اللغوي السياق العام للآية، وسبب نزولها.

٣- لفظ (رجع):

كما راعى في استعمال لفظ (رجع)، دون (رد) في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ (طه: ٤٠)، يقول د. هادي نهر: "لأنَّ الرجوع والرد إلى الشيء بمعنى، فالردُّ يقتضي كراهية المردود، وكان لفظ (الرجع) ألطف؛ لأنَّ سياق السورة العام كانت تتناسب مع ألفاظها، فسورة طه كانت للتهوين على النبي، فسياق الآيات كانت مناسبة بألفاظها"^(٨١).

٤- لفظ (طه):

من الألفاظ التي تعددت معناها، وهي محتملة المعنى المراد تفسيره، قوله تعالى: ﴿طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَىٰ﴾ (طه: ١-٢)، فلفظ (طه) من الألفاظ التي أشكلت على المفسرين، فمنهم من قال أنَّه من فواتح السور، ومنهم من ذهب إلى أنَّه بمعنى: طأها، أي: طأ الأرض بقدميك^(٨٢). وقال الكلبي هي لغة عكل، أو عك، وحكى أنك لو قلت في لغة عك: يا رجل، لا يجيبك حتى تقول: طه^(٨٣).

وذهب ابن عباس وعكرمة على أنَّ معنى: طه، يا إنسان بالنبطية^(٨٤).

نتائج البحث:

١- لقد جاءت سورة طه وهي تحمل في طياتها صوراً لغوية فريدة في تعددية احتمال الأدوات التي وردت فيها، فقد وقفنا على أنماط تعددية الاحتمال في الأدوات النحوية، ورأينا كيف أنَّ القرآن اللغوية عند تضافرها قد أثرت في الدلالة والمعنى.

٢- جرت العادة أنَّ خروج أي أداة عن وظيفتها الأساسية الوضعية إلى عمل ووظيفة أخرى، فإنَّهم حينئذ يطلقون على هذه الوظيفة بالوظيفة المجازية، لكني أرى أنَّ هذه التسمية ليست موفقة، والأجدر من ذلك أن يقال: وظيفة فرعية؛ لأنَّ المجاز شيء لا يمكن الاعتداد به، وهو باب يغشيه الكذب والمحال، وهذا لا يصلح.

٣- إنَّ المؤدى النحوي في الضمير (ضمير الشأن) الذي يُكنى به الاسم، وهي كنيته الكبرى، قد يخرج إلى كناية غير الاسم، وهذا الأمر يعد نادراً في هذا الضمير.

٤- تتعاون القرآن اللغوية فيما بينها كخلية نحل في كشفها الملابس من النص، وهي بدورها كاشفة عن الدلالة والمعنى.

م. د. لؤي محسن إبراهيم

٥- أيقن القدماء أنّ الرتبة في السياق اللغوي ليست المقرر الوحيد في فهم التركيب، فيكون الاحتكام إليها في الأسماء المنقوصة، والمقصورة، والمبنيات فيه نوع من الإبهام؛ لذا أنّ الرتبة تتجاذب مع المبنيات، وهي تعدد احتمالات العلاقة النحوية، والذي يقصد بها بأن يصلح المعطوف أن يعطف على هذا اللفظ، أو ذلك، أو كاحتمال تعلق الظرف، أو الجار والمجرور بهذا اللفظ أو ذلك.

٦- عجز المفسرون في الإحاطة بلغات العرب، ممّا جعلهم لا يحيطون الوقوف على المعنى المراد للألفاظ التي جاءت في السياق القرآني، من ذلك اختلافهم في لفظة (طه)، أهي من فواتح الصور، أم أنّها لغة من لغات العرب، أو غيرهم.

الهوامش:

- (١) العين: ٢٤٠/٣.
- (٢) مقاييس اللغة: ١٠٦/٢.
- (٣) المصدر نفسه: ١٠٧/٢.
- (٤) التعريفات: ١٤/١، تح: محمد صديق المنشاوي.
- (٥) العين: ١٤١/٥.
- (٦) مقاييس اللغة: ٧٦/٥.
- (٧) التعريفات: ١٤٦/١.
- (٨) المصدر نفسه: ١٤٦/١.
- (٩) ينظر المعجم الوسيط: ٧٣٠/٢، مادة (قرن).
- (١٠) ينظر دلالة السياق: ٥١، ردة الله الطلحي.
- (١١) ينظر المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: ١١٦.
- (١٢) ينظر المصدر نفسه: ١١٦، والدلالة السياقية عند اللغويين: ٥١.
- (١٣) دور الكلمة في اللغة: ٥٧.
- (١٤) ينظر دلائل الإعجاز: ٨٨.
- (١٥) إحكام الأحكام: ٢١/٢.
- (١٦) ينظر البيان في روائع القرآن: ٢١١-٢١٣.
- (١٧) ينظر اللغة والمعنى والسياق: ٢٢٢.
- (١٨) ينظر البرهان في علوم القرآن: ١٩٣/١، والاتقان في علوم القرآن: ٤٩/١.
- (١٩) فتح الباري: ٢٨٩/٨.
- (٢٠) اللباب في علوم الكتاب: ١٦٨/١٣.
- (٢١) التعبير الفني في القرآن: ١٧٩.
- (٢٢) ينظر المصدر نفسه: ١٨٤.
- (٢٣) التحليل النحوي، أصوله وأدلته: ٩٠.
- (٢٤) ينظر روح المعاني: ٢٢٩/١٦.
- (٢٥) ينظر البيان في روائع القرآن: ١٦١-١٧٣.

تعددية الاحتمال وتضافر القرآن الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وأثرها في الدلالة (سورة طه أنموذجاً)

- (٢٦) ينظر الكشف: ١٠٥/٤، والتحرير والتنوير: ٢٩٢/١٦.
- (٢٧) الموسوعة القرآنية خصائص الصور: ٢٤٤/٥.
- (٢٨) علم الدلالة التطبيقي: ٤٣٢-٤٣٣.
- (٢٩) ينظر الكشف: ٦٨/٤.
- (٣٠) ينظر التحرير والتنوير: ١٨٩/١٦.
- (٣١) التعبير القرآني: ٢١٧.
- (٣٢) ينظر المصدر نفسه: ٢١٧.
- (٣٣) ينظر الدلالة السياقية عند اللغويين: ٥٨.
- (٣٤) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٦٥.
- (٣٥) ينظر الدلالة السياقية عند اللغويين: ٦٠.
- (٣٦) مفاتيح الغيب: ٥٢/٢٢.
- (٣٧) ينظر مقاييس اللغة: ١٤٠/٣.
- (٣٨) الخصائص: ١٥٢/١-١٥٣، وينظر معاني الأبنية: ٥١.
- (٣٩) ينظر الخصائص: ١٥٢/١.
- (٤٠) ينظر الكشف: ٨٠/٤.
- (٤١) ينظر المحكم والمحيط الأعظم: ٤٠٨/٦.
- (٤٢) ينظر مفاتيح الغيب: ٦١/٢٢.
- (٤٣) ينظر الكشف: ٨٥/٤.
- (٤٤) ينظر علم الدلالة التطبيقي: ٢٩٨.
- (٤٥) ينظر مفاتيح الغيب: ١٤/٢٢، والتحرير والتنوير: ١٩٣/١٦.
- (٤٦) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٤١.
- (٤٧) ينظر التحرير والتنوير: ١٩٣/١٦.
- (٤٨) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٤٤.
- (٤٩) البيان في روائع القرآن: ٧٧.
- (٥٠) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني: ٥١٠.
- (٥١) ينظر البرهان في علوم القرآن: ٢٨٣/٤.
- (٥٢) ينظر الكشف: ٦٦/٤.
- (٥٣) ينظر التحرير والتنوير: ٢١٨/١٦.
- (٥٤) ينظر البيان في روائع القرآن: ١٨٩.
- (٥٥) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٥٠.
- (٥٦) ينظر التحرير والتنوير: ٢٦٥/١٦.
- (٥٧) ينظر البيان في روائع القرآن: ٢٠٩-٢١٣.
- (٥٨) ينظر المصدر نفسه: ٢٠٩.
- (٥٩) ينظر الكشف: ٨٦/٤.
- (٦٠) مفاتيح الغيب: ٦٨/٢٢.

م. د. لؤي محسن إبراهيم

- (٦١) البيان في روائع القرآن: ٢٠٩.
- (٦٢) ينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١١٧/٨-١٢٠.
- (٦٣) ينظر البيان في روائع القرآن: ٤١٣.
- (٦٤) ينظر التحرير والتنوير: ٣٣٤/١٦.
- (٦٥) ينظر البيان في روائع القرآن: ٤١٣.
- (٦٦) علم الدلالة التطبيقي: ٣٠٦-٣٠٥.
- (٦٧) ينظر الكشف: ٩٧/٤، ومفاتيح الغيب: ٩١/٢٢، والبيان في روائع القرآن: ٣٤، و: ٤٩.
- (٦٨) ينظر التحرير والتنوير: ٣٢٥/١٦، والبيان في روائع القرآن: ٧٧.
- (٦٩) ينظر المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: ٩٨.
- (٧٠) التعبير القرآني: ٢٣٧.
- (٧١) مقاييس اللغة: ٧٨/٥-٧٩.
- (٧٢) مفردات في غريب القرآن: ٤١٣-٤١٤.
- (٧٣) ينظر مقاييس اللغة: ٣٥٨/٢-٣٥٩.
- (٧٤) ينظر مفردات غريب القرآن: ٤٤٠.
- (٧٥) ينظر اللباب في علوم الكتاب: ١٦٨/١٣.
- (٧٦) مقاييس اللغة: ٥١/١.
- (٧٧) مفردات في غريب القرآن: ٦١.
- (٧٨) المصدر نفسه: ٦١.
- (٧٩) ينظر أساس البلاغة: ١٦٢/١.
- (٨٠) ينظر المفردات في غريب القرآن: ٢١٢، وينظر سياق الآيات: غافر: ٣٤، هود: ٧٧، والأحزاب: ١٩، وغيرها.
- (٨١) علم الدلالة التطبيقي: ٣٣٦.
- (٨٢) ينظر معاني القرآن وإعرابه: ٣٤٩/٣.
- (٨٣) ينظر الدر المصون: ٥/٨.
- (٨٤) ينظر تفسير الطبري: ٢٦٦/١٨.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- * إحكام الأحكام ، لابن دقيق العيد ، الناشر: مطبعة السنة المحمدية ، عدد الاجزاء : ٢ ، بلا تاريخ .
- * أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن احمد الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان ، ط: ١٩٩٨م.
- * أسباب النزول ، للواحدي (٤٨٦هـ) ، تح: عصام العيدان، دار الإصلاح ، ط: ٢، ١٩٩٢هـ.

تعددية الاحتمال وتضافر القرآن الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية وأثرها في الدلالة (سورة طه أنموذجاً)

* الإتيان في علوم القرآن ، للسيوطي (٩١١هـ)، تح: مركز الدراسات الإسلامية ، مجمع الملك فهد للطباعة، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط: ١، ١٩٩٨م، ط: ٢، ١٤٢٨هـ/القاهرة ، ط: ١، ٢٠٠١م.

* الأدلة الاستثنائية عند الأصوليين، أشرف كناني.

* البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم النقي، تح : د. سعيد بن جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي.

* البرهان في علوم القرآن، للزركشي ، تح: أبو الفضل إبراهيم ، ط: ١، دار احياء الكتاب العربية .

* البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان ، الناشر: عالم الكتب، ط: ١، ١٩٩٣م.

* الخصائص، لابن جنّي تح: محمد علي النجار، الناشر: المكتبة العلمية .

* الدلالة السياقية عند اللغويين ، عواطف كنوش، دار السياح للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.

* الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ، حامد كاظم عباس ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد العراق . ٢٠٠٤م.

* الكتاب، لسبويه ،تح: عبد السلام هارون، ط: ٣، مكتبة الخانجي ، مصر، ١٩٨٨م.

* اللباب في علوم الكتاب ، لابن عادل دمشقي ،تح :الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض.

* اللغة والمعنى والسياق ، جون لايتز ، ترجمة عباس صادق ،ط: ١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٩٨٧م.

* المحكم والمحيط الأعظم ،لابن سيدة ،تح: عبد الحميد هنداي ، دارالكتب العلمية ، ط: ١، بيروت ٢٠٠٠م

* المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، د.محمد أحمد أبو فرج ، الناشر :دار النهضة العربية، مصر ، ١٩٦٦م.

* المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق،مصر ،ط: ٤، ٢٠٠٤م

* المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، للعيني (٨٥٥هـ)، تح: د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام ،

* الموسوعة القرآنية خصائص السور ، جعفر شرف الدين ، تح: عبد العزيز عثمان ، دار التقريب ،بيروت ،ط: ١، ١٤٢٠م

* بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز ، للفيروز آبادي.

* تفسير مقاتل، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان (١٥٠هـ) ،تح: عبد الجليل عبيدة شلبي ، عالم الكتب، ط: ١٩٨٨م ، ١٤٠٨هـ.

م. د. لؤي محسن إبراهيم

- * دلالة السياق، ردة الله الطلحي، جماعة أم القرى، مكة المكرمة، ط: ١٤٢٤هـ.
- * دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- * علم الدلالة، أصوله، ومباحثه، منقور عبد الجليل، الناشر: إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- * علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط: ١٩٩٨م.
- * علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، دار الأمل للتوزيع والنشر، الأردن، ط: ٢٠٠٧م.
- * علم النص ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض، دار الثقة للنشر، مكة المكرمة، ط: ١٤١٠هـ.
- * فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، تح: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- * لسان العرب، لابن المنظور (٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، عدد الاجزاء: ١٥، ط: ١٤١٤هـ.
- * مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢٠٠٧م.
- * معاني الأبنية في العربية، د. فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن، م ١٤٢٨، ٢٠٠٧هـ.
- * معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣١١هـ)، تح: عبد الجليل عبد شلبي، عالم الكتب، ط: ١٤٠٨هـ.
- * مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الفخر الدي الرازي، الناشر: دار الفكر، ط: ١٩٨١م، ١٤٠١هـ.
- * مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر.
- * موجز علوم القرآن، داود العطار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط: ١٩٩٥م.
- * النص والخطاب و الاجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، القاهرة، ط: ١٤١٨م.

الرسائل والأطاريح:

- دلالة السياق عند الأصوليين، الباحث: سعد بن مقبل، رسالة ماجستير مقدم بها إلى الكلية الشريعة، جامعة أم القرى السعودية.